

السمات اللغوية وأثرها في تحديد الهوية

Linguistic features and their impact on identification

سي موسى عبد الغاني¹جامعة وهران 1 أحمد بن بلة/ الجزائر oustademoussa@gmail.comأ.د سعاد بسناسي^{2*}جامعة وهران 1 أحمد بن بلة/ الجزائر besnacisouade@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/09/23

تاريخ القبول: 2022/07/18

تاريخ الارسال: 2022/06/21

ملخص:

تلعب اللغة دورا هاما في الحياة الإنسانية، وذلك من منطلق كونها الوسيلة الرئيسة للتعارف والتعامل بين بني البشر؛ ولأن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع أن يحيا بمعزل عن أقرانه؛ إذ لابد أن يتصل بالآخرين سعيا لإشباع حاجاته ومواجهة متطلبات حياته، فإن موقع اللغة في هذه العملية الطبيعية يأتي في المقام الأول؛ لتيسير الاتصال المتبادل بين الأفراد وتحقيق غاياتهم المنشودة.

لاشك أن اللغة العربية لها من التراث الحضاري والفكري ما يجعلها تنمي سمات الفرد العقلية والشخصية، فقد استطاعت اللغة العربية أن تغير وتطور ثقافة المجتمعات الإنسانية بصورة عامة والعربية على وجه الخصوص، حيث استطاع الإنسان العربي تنمية سماته العقلية والانفعالية عن طريق تمكنه من اللغة العربية. هذا وقد تميز العرب قديما بالخطابة وحسن استخدام الألفاظ والنبوغ في الشعر، فقد كانت السمات المميزة للإنسان العربي آنذاك البلاغة في الحديث والوصف للطبيعة والتحليل للأحداث.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن أثر اللغة العربية في تجذير الهوية العربية في ظل المتغيرات العصرية من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية: ما مفهوم السمة اللغوية وعلاقتها بالهوية؟ ماهي السمات الخاصة باللغة العربية؟ ماهي التحديات المعاصرة التي تواجه اللغة العربية؟

الكلمات المفتاحية: السمة، اللغة، الهوية، مقومات الهوية.

Abstract:

Language plays an important role in human life, as it is the main means of acquaintance and interaction between human beings. Because man is a social being, he cannot live in isolation from his peers; As he must communicate with others in order to satisfy his needs and meet the requirements of his life, the position of language in this natural process comes in the first place; To facilitate mutual communication between individuals and achieve their desired goals. There is no doubt that the Arabic language has a cultural and intellectual heritage, which makes it develop the mental and personal traits of the individual. The Arabic language has been able to change and develop the culture of human societies in general and Arabic in particular, as the Arab person was able to develop his mental and emotional traits

* المؤلف المرسل

through his mastery of the Arabic language. The Arabs were distinguished in the past by rhetoric, good use of words and genius in poetry. The distinguishing features of the Arab man at that time were eloquence in speech, description of nature and analysis of events. This research paper aims to reveal the impact of the Arabic language on the rooting of the Arab identity in light of modern changes by answering the following questions: What is the concept of the linguistic feature and its relationship to identity? What are the special features of the Arabic language? What are the contemporary challenges facing the Arabic language?

Keywords: trait, language, identity, components of identity.

تقديم:

تعد اللغة مكوناً أساسياً تسهم في بناء الهوية الوطنية لأي مجتمع من المجتمعات فاللغة تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، فهي وسيلته للتعبير عن المشاعر والأحاسيس والحاجات، بالإضافة إلى أنها وعاء التفكير لديه. واللغة أيضاً من أهم ما يميز أمة عن غيرها من الأمم الأخرى، فهي بمثابة جواز السفر أو الوثيقة التي يحملها الفرد أينما رحل وحل. فالإنسان لا يعرف من خلال ملبسه أو مأكله فقط، بل من خلال أهم مكون للهوية وهو اللسان.

إن اللغة العربية تقوم بدور كبير في تطوير خصائص وسمات الشخصية الإنسانية من خلال إظهار مدى استغلال الفرد للغة، ومدى تمكنه من حسن استغلال الكلمات والمفردات اللغوية وبهذا تعتبر اللغة العربية مكوناً أساسياً من مكونات سمات الشخص، لأن سمات الشخصية بمثابة هوية الفرد فهي تضفي عليه سمة الإنسانية وخصائصها، فسمّة الإبداع وسمّة التفكير وسمّة الطلاقة وغيرها من السمات التي تميز الأفراد عن بعضهم البعض، وبذلك فإن الإنسان في حاجة إلى تطوير وتنمية هذه السمات بمختلف السبل والوسائل، حيث نلاحظ القصور في الاستعمال الحسن والجيد للغة العربية، فقد أصبح الأفراد -في حديثهم- يستعملون مصطلحات أجنبية دخيلة على اللغة العربية، وهم يفتخرون بذلك السلوك ويعتبرونه من السمات الإيجابية، بيد أنها سمات سلبية أضرت باللغة العربية، ولم يكن ذلك المسلك في يوم من الأيام من محددات الشخصية العربية.

اللغة والخصائص الإنسانية:

اللغة وسيلة أساسية من وسائل الاتصال الاجتماعي، وخاصة في التعبير عن الذات وفهم الآخرين، ووسيلة مهمة من وسائل النمو العقلي والمعرفي والانفعالي، ويعرفها على أنها نظام من الرموز المتفق عليها والتي تمثل المعاني المختلفة والتي تسير وفق قواعد معينة.¹

واللغة عبارة عن مجموعة من الرموز المنطوقة، تستخدم كوسائل للتعبير أو للاتصال مع الغير، وهي قد تشمل لغة الكتابة أو لغة الحركات المعبرة (الإيماءات، التكشيرات)، كما أنها مجموعة من الرموز تمثل المعاني المختلفة وهي مهارة اختص بها الإنسان، واللغة نوعان لفظية وغير لفظية، وهي وسيلة الاتصال الاجتماعي والعقلي وهي إحدى وسائل النمو العقلي والتنشئة الاجتماعية والتوافق الانفعالي، ومظهر قوي من مظاهر النمو العقلي والحسي.²

- لقد كرم الله سبحانه وتعالى انسان بنعمة اللغة وفضله بها على سائر المخلوقات مصداقاً لقوله تعالى:
- "الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان". سورة الرحمن الآية 4
- فاللغة أعظم إنجاز بشري، وتتميز بعدد من الخصائص التي تميزها عن وسائل التعبير الأخرى من أهمها ما يلي:
- 1- أنها إبداعية، ذات طابع منفتح، حيث يتمكن الإنسان من أن ينتج عدداً جليلاً من الجمل والعبارات، وتتجلى إبداعية الإنسان اللغوية في أنها ملكة طبيعية، ويستعملها بطريقة عفوية متى شاء.
 - 2- أنها تخضع للمثيرات الداخلية والخارجية، فهي تعبر عن فكر متكلميها بطريقة ذاتية كاملة
 - 3- اللغة الإنسانية لغة قادرة على التلفظ المزدوج، فهي تتألف من تراكيب وجمل.
 - 4- اللغة الإنسانية قادرة على التحول عبر الزمان والمكان.
 - 5- اللغة الإنسانية قادرة على التوارث، إذ أنها تنتقل من الكبار إلى الصغار ومن جيل إلى جيل.³
- في مفهوم السمة:**

تعرف السمات بأنها نظام عصبي نفسي عام خاص بالفرد، قادر على تناول المثيرات المختلفة تناولاً متعادلاً من الناحية الوظيفية، وعلى إنشاء وتوجيه نماذج سلوكية توافقية ثابتة، كما تعرف أيضاً بالصفة الجسمية أو العقلية أو الانفعالية أو الاجتماعية الفطرية أو المكتسبة التي يتميز بها الفرد، وهي تعبر عن استعداد ثابت نسبياً لنوع معين من السلوك.

إن السمات هي الأنماط المعتادة للسلوك والتفكير والعاطفة، وهي مستقرة نسبياً مع مرور الوقت، وتختلف بين الأفراد وتؤثر على سلوكهم. وهكذا يمكن القول بأن الأساس النظري وراء نظريات السمات هو أن الأفراد يختلفون بدرجات متفاوتة في استجاباتهم لنفس الموقف أو المثير ومن ثم فإن لكل فرد سمات شخصية ثابتة يمكن أن تلاحظ فيه، ويمكن أن نفرق بين شخص وآخر في ضوءها.⁴

الهوية وأقسامها:

قبل البدء بالحديث عن مفهوم الهوية في الدراسات الاجتماعية لا بد من الوقوف على معناها اللغوي والاصطلاحي، فقد جاء مصطلح (الهوية) في اللغة العربية مشتقاً من الجذر (هو)، والهوية لغة تعني جوهر الشيء وحقيقته. فقد جاء في كتاب التعريفات للجرجاني: "أنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب"، والهوية في المعاجم العربية تعني: يحمل السمات التي تميز شيئاً عن غيره أو شخصاً عن شخص، أو مجموعة عن غيرها، بحيث إن كلا منها يحمل عناصر في هويته، وهذه الجملة من العناصر هي الميزة له عن غيره. وعناصر الهوية شيء متحرك ديناميكي يمكن أن يبرز أحدها أو بعضها في مرحلة معينة، وبعضها الآخر في مرحلة أخرى.

كما عرفها المفكر الفرنسي أليكس مكشيلي: "إنها منظومة متكاملة للمعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها".⁵

والهوية على نوعين: هوية شخصية تميز شخصا من خلال اسمه، وصفاته وسلوكه وجنسه، إلى غير ذلك، وهوية جمعية (وطنية، أو قومية) تدل على مميزات مشتركة لمجموعة من البشر تميزهم عن غيرهم من الجماعات، وإن وجدت فيما بينهم بعض الفروق من الاختلاف إلا أن القواسم المشتركة من أوجه الشبه بين أبناء هذه الجماعات هي الغالب في نهاية المطاف، فلو أخذنا على سبيل المثال أي أمة من الأمم أو أي شعب من الشعوب لوجدنا أن هناك مجموعة من السمات الحضارية، والسلوكية، والشكلية، والنطقية المشتركة التي تجمع بين أفراد هذه الشعوب، فهذا ما يمكن أن نطلق عليه مسمى (الهوية) سواء أكانت الهوية الوطنية على النطاق الضيق، أو الهوية القومية، والتي نحن بصدد دراستها - على النطاق الأوسع، ومن هنا لا يمكن لشعب من الشعوب أو لأمة من الأمم أن تحيا دون هوية أو أن تتخلى عن هويتها، فهي مطلب ملح لا تقل أهميته عن أي مطلب أساس من مطالب الحياة التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها.⁶

اللغة والهوية:

الهوية سمة إنسانية تميزه عن غيره من المخلوقات وتتعدد عناصرها - كما أشرنا سابقا - من حيث الدين، والثقافة، والجغرافيا وغيرها، إلا أن اللغة تعد العنصر الأساس في تشكل هوية أية أمة أو شعب من الشعوب. وكل منهما - أي اللغة والهوية - مرتبط كل الارتباط بالعقل، وقد وجدت هاتان الخاصيتان مع وجود الإنسان على الأرض، وكل منها مركب يشتمل على أجزاء متداخلة لا يمكن فصل بعضها عن الآخر. فإذا كانت اللغة تشمل طرائق التفكير والتاريخ والمشاعر وإرادة الناس وطموحاتهم وشكل علاقاتهم، فإن الهوية هي هذه العناصر كليتها وتركيبها، "فاللغة والهوية وجهان لعملة واحدة"⁷

فاللغة عند علماء الأنسنة وعاء الفكر الإنساني، لذا فالعلاقة بين الفكر واللغة علاقة وثيقة، فهي أشبه بجهاز عصبي آخر مع الجهاز العصبي الحقيقي، وفي الوقت نفسه انتماءه، وهذه الأشياء مجتمعة هي حقيقته، ولذا جاء على لسان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (المرء مخبوء تحت لسانه، فإذا تحدث عرف) والمقصود بـ المعرفة هنا معرفة الفكر والانتماء القومي من خلال النطق اللساني. ويذهب علماء اللغة إلى أن اللغة تنشأ نتيجة عاملين: فطري، وبيئي، فاللغة مكتسبة لا تولد مع الإنسان، ولا تتشكل دفعة واحدة فالإنسان يولد دون لغة، ثم يبدأ من خلال المجتمع المحيط يكون مفرداته وقاموسه اللغوي وينمي من خلال الاكتساب اللغوي.

وكذلك الحال بالنسبة للهوية فهي ليست آنية التكوين، ولا تولد مع الإنسان وإنما تنمو بداخله بتعايشه في مجتمع ما، فتأتي - في الغالب - مستمدة من سمات هذا المجتمع فتحدد شكلها وألوانها، فهي جزء منه، أو على

الأقل تحمل بعض ملامحه. والمجتمع المؤثر في تشكل هوية الفرد ليس المجتمع الحاضر فقط وإنما هو الوسط الاجتماعي الذي يراه المرء ويتفاعل معه، إضافة إلى المجتمع التاريخي أو تاريخ الجماعة التي ينتمي إليها".

ولعل مما يؤيد مدى الارتباط الوثيق بين اللغة والهوية تمسك الكثير من الأمم والشعوب القوية بلغتها في جميع المحافل الخاصة والعامة، فإذا كانت اللغة هي الأساس الصلب الذي تقوم عليه الأمة فإن الهوية في الواقع هي خاصية اللغة ووظيفتها الأساسية، فيقول الفيلسوف الألماني (فيخته): "إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يشكلون كيانا واحدا متكاملا بروابط متينة وإن تكن غير مرئية". فيفهم من كلام الفيلسوف الألماني السابق أن اللغة هي الخيط غير المرئي الذي ينتظم شعبا من الشعوب، أو أمة من الأمم، فتتوحد مشاعرها، وتقوى علاقاتها وروابطها، وهذا ما يفسر نظرية (اللغة الواحدة) والإصرار عليها ليس من باب العجز، ولكن من باب مخافة دخول المنافس. ورحم الله الرافعي حيث يقول: "ما ذلت لغة قوم إلا ذلوا، ولا انحطت إلا كان أمرها في ذهاب وإدبار".

فالضعف اللغوي العام يؤدي بالتدريج إلى ذوبان الشخصية، وفقدان الهوية وانقطاع الصلة بالرابطة التي توحد الأمة، وتشد كيانها، وتحقق لها استقلالها وتبوؤها المكانة المحترمة بين الأمم الحية؛ ولذا فإن الحفاظ على اللغة حفاظا على الأصالة والانتماء القومي، وتضييعها تضعيع لهذه الأصالة وهذا الانتماء. هكذا تنظر الأمم الحية إلى لغاتها: تعبيرا عن الكيان وشعارا للذاتية، ورابطة القومية، ورمزا للكرامة الوطنية، وحامية للوحدة والاستقلال.

ولعل ما يحصل في بعض بلدان العالم ما يؤيد ذلك، فقد نشرت بعض المواقع الإلكترونية والصحف المنشورة قصة. مفادها أن طالبة ألمانية أثناء حصولها على شهادة (البكالوريا) قد نجحت بتفوق وامتياز في كل مواد الامتحان، ولكنها رسبت ولم تمنح الشهادة لأنها كانت ضعيفة في اللغة الألمانية، ولم يشفع لها تفوقها في كل المواد الأخرى لدى الجهة التعليمية المسؤولة. ورفعت الطالبة أمرها إلى محكمة (فرانكفورت) مطالبة بإلغاء قرار رسوبها، والحكم لها بالنجاح وحققها في الشهادة مستندة إلى تفوقها في كل المواد، ومدعية أن ضعفها في اللغة الألمانية ليس مسوغا لرسوبها، ولكن المحكمة رفضت طلبها، وأيدت قرار الجهة التعليمية المختصة في قرارها برسوب الطالبة، غير أن الطالبة قد رفعت أمرها إلى درجات التقاضي الأخرى التي رفضت دعواها وصادقت على قرار رسوبها، إلى أن وصلت بقضيتها إلى المحكمة الفدرالية التي هي عندهم أعلى درجات التقاضي، فرفضت هي أيضا دعوى الطالبة، وأقرت الحكم برسوبها، مبررة حكمها في أن اللغة الألمانية هي التعبير عن الفكر الألماني المستقل، والمترجم عن شخصية الألمانين وهويتهم، وهي أهم مادة في الامتحان والضعف فيها لا يغطيه التفوق والامتياز في المواد الأخرى.

وأكبر مثال حي على هذا الأمر كذلك سعي اليهود إلى إحياء اللغة العبرية التي ماتت منذ أكثر من ألفي سنة، فقد تأسس المجمع العلمي للغة العبرية عندهم عام (1953)، وبجانب هذا المجمع كونوا مجلس أعلى يضم نحو أربعين لجنة متخصصة في كل الفروع العلمية والفكرية والأدبية والفنية، وتهتم بمسيرة اللغة للتطورات المستمرة، واستحداث المصطلحات والمفردات العبرية التي تغطي الحاجة في كل المجالات، وما يتفق عليه منها ينشر في الجريدة

الرسمية، ويصبح العمل به إجبارياً في الدوائر الحكومية والمؤسسات المدنية والجامعات ودور التعليم ووسائل الإعلام بأنواعها، ويعاقب القانون كل من يخالف ذلك ولا يلتزمه، وبذلك استطاعوا أن يبعثوا الحياة في اللغة العبرية بعد أن شبت موتاً، وخلقوا لها كيانه بعد أن كانت أثر من آثار التاريخ، فاللغة العبرية - في نظر هؤلاء - هي المعبرة عن شخصيتهم وثقافتهم وتاريخهم، والجامعة لكيانهم المشتت، والوعاء الذي يجمع اختلافاتهم الفكرية، والرابطة لوحدهم وتضامنهم، إذا يترك الضعف اللغوي العام فراغاً فكرياً وثقافياً لدى الأمة، فتضعف الصلة بتراتها وتاريخها وأبجدياتها السالفة، فتكون بذلك ساحة مهيدة للغزو الثقافي الأجنبي ومجالاً خصباً لملء الفراغ بالكلمات الدخيلة والأفكار الغريبة، وبهذا الفعل تستلب الأمة فكرياً وثقافياً، وهو عمل أشد فتكاً وأسى آثاراً لأنه غزو يقتل الشخصية، ويمحو الهوية.⁸

وحتى تستعيد الأمة عافيتها بالتخلص من التبعية الثقافية فإن الأمر يحتاج إلى التنسيق، وهو أمر لا يأتي عشوائياً "ولكنه يأتي ثمرة مناهج التفكير السليم التي توضح الرؤية وتكون العقلية وتولد الأفكار وتنمي القابليات وتشكل النفسانيات في قدرتها وفي عملياتها، وإيجابيتها وفي إقدامها وفي شجاعتها ومبادرتها وتخلصها من قصورها وخرافاتها ومن سلبياتها وإحجامها ورهبتها.

ونظراً لحالة الانفتاح التي تعيشها الأمة في ظل العولمة الثقافية والفكرية، فإنه من المتوقع أن يزداد الأمر سوءاً إن لم تعالج مشكلة الغزو اللغوي بشكل جذري ومخطط له على المستوى القومي الرسمي.⁹

سمات اللغة العربية:

هناك مجموعة من السمات التي تخص اللغة العربية والتي تجعلها لغة مختلفة ومميزة عن جميع اللغات والتي تتمثل في الآتي:

أولاً: الفصاحة: أي الشيء الخالي من العيوب، وهذا يدل على خلو تلك اللغة من التنافر الذي قد يتواجد بين الكلمات، وكذلك الضعف الذي يكون خاص بالتأليف اللفظي، بالإضافة إلى عدم وجود التعقيدات المعنوية.

ثانياً: الترادف: اللغة العربية تضم عدد كبير من الكلمات التي تحمل نفس المعنى وهذا دليل على قوة تلك اللغة.

ثالثاً: دلالة الأصوات: الكلمات الخاصة باللغة العربية لها نغمة محددة حيث أن الكلمات يمكن فهم معناها بمجرد الاستماع إليها.

رابعاً: كمية كبيرة من المفردات: حيث إن هناك عدد كبير من المرادفات التي تتواجد داخل المعاجم العربية و المعجم العربي هو أكبر معجم.

خامساً: التخفيف: حيث إن البنية الخاصة بالكلمة مبنية على مجموعة من الأسس.

سادساً: الإيجاز: اللغة العربية من أهم اللغات التي تتميز بوجود الإيجاز.

سابعاً: الإعراب: وتكمن أهمية الإعراب هنا في إعطاء الكلمات المعاني وكذلك الدلالات.¹⁰

ويؤكد المنصفون من علماء العرب والغرب أن اللغة العربية تمتاز عن سائر أخواتها من اللغات السامية، وغيرها من لغات البشر، بوفرة كلماتها، والاطراد في قياس أبنيتها، وتنوع أساليبها، وعذوبة منطقتها، ووضوح مخارجها... إلخ، يقول "بروكلمان": "معجم العربية اللغوي لا يجاريه معجم في ثرائه، إنه نهر"، وأكد الألماني "فريتاغ" ذلك بقوله: "اللغة العربية أغنى لغات العالم"، ويقول "الإسباني" فيلا سبازا: "اللغة العربية من أغنى لغات العالم، بل هي أرقى من لغات أوروبا؛ لأنها تتضمن كل أدوات التعبير في أصولها.

ويصف "فيكتور بيرار" اللغة العربية في القرن الرابع الهجري، بأنها أغنى وأبسط، وأقوى، وأرق، وأمتن، وأكثر اللهجات الإنسانية مرونةً وروعةً، فهي كنز يزخر بالمفاتيح ويفيض بسحر الخيال، وعجيب المحاز، رقيق الحاشية، مهذب الجوانب، رائع التصوير.

والذي أبقى على اللغة العربية هو مرونتها التي لا تُبارى، فالألماني المعاصر - مثلاً - لا يستطيع أن يفهم كلمة واحدة من اللهجة التي كان يتحدث بها أجداده منذ ألف سنة، بينما العرب المحدثون يستطيعون فهم آداب لغتهم التي كُتبت في الجاهلية قبل الإسلام.

كما أن اللغة العربية تتميز بثبات الأصول، ومرونة الفروع، وثبات أصول الألفاظ ومحافظتها على روابطها الاشتقاقية يقابل استمرار الشخصية العربية خلال العصور، فالحفاظ على الأصل واتصال الشخصية واستمرارها صفة يتصف بها العرب، كما تتصف بها لغتهم، إذ تُمكن الخاصية الاشتقاقية من تمييز الدخيل الغريب من الأصل، وبهذه المرونة عولجت مسألة المصطلحات، وقد لاحظ "ألفرد غيوم" هذه الخصائص، فعلق عليها بقوله: "صلح اللسان العربي للتعبير عن العلاقات بإيجاز أكثر من اللغات الآرية؛ لمرونته، وقابليته الاشتقاقية الفائقة في الاسم والفعل"، فاللغات الأوروبية تتغير معاجمها بين الحين والحين، ولا يمر قرن واحد إلا ويصيبها تغيير أساسي في مفرداتها وقواعدها، بينما للعربية قدرتها الفائقة على استخدام أكثر من طريقة لتثبيت ألفاظ جديدة في قاموسها؛ كالقلب المكاني، والنحت، والتعريب، وغيرها.

ومن مرونتها كذلك: الظواهر الصوتية؛ من إبدال، وإدغام، وإظهار، وإخفاء، ورؤم، وإشمام، وأيضًا: كاسم المكان والزمان، والسببية، والحرفة، والأصوات، والآلة، والتفضيل... إلخ، تلك المرونة التي أتاحت لها أن تغدو لغة الحضارة في القرون الوسطى¹¹.

تحديات معاصرة تواجه اللغة العربية:

لقد أصبحت اللغة العربية تواجه مجموعة من التحديات العصرية في عقر دارها، مما كان لهذه التحديات الأثر الأكبر في الهوية العربية والإسلامية في كثير من جوانبها، متمثلة بالمتغيرات الثقافية، والاجتماعية التي يمر بها العالم، نتيجة لظهور وسائل الإعلام الحديثة وسهولة الاتصال بجميع أشكاله وأطيافه، ومن هذه التحديات:

1- الثنائية اللغوية في التعليم في البلدان العربية: لقد شاع في الكثير من البلدان العربية والإسلامية - إذا لم تكن كلها - ظاهرة غريبة، وهي ظهور المدارس الأجنبية بشكل عام، والأمريكية والبريطانية منها بشكل خاص، ولا نقصد هنا أننا ضد تعلم اللغات الأخرى، بل على العكس من ذلك فنحن من مشجعي تعلم اللغات ومعرفة علوم أهلها، فالحكمة ضالة المؤمن، ولكن ما نقصده هو تعليم هذه اللغات على حساب اللغة العربية، وخاصة في المراحل العمرية الأولى، وهي مراحل الاكتساب اللغوي التي تستمر حتى عمر 13 سنة تقريبا، ولا يخفى على أحد الأثر الذي يتركه تعلم هذه اللغات الأجنبية على اللغة الأم (العربية) من جوانب شتى. وما يعيننا منها الآن هو جانب الهوية اللغوية. وتجاوز الأمر ذلك حيث أصبحنا نجد أن الاهتمام بهذه اللغات على حساب العربية من حيث تقليص عدد حصص اللغة العربية لصالح اللغة الأجنبية، أما حصص التربية الدينية فحدث ولا حرج هذا إذا كان لها نصيب من الحصص أصلا. ولذا فإن الاهتمام باللغة العربية وجعلها أداة فاعلة في نشر التعليم والفكر والثقافة العربية والإسلامية أمر غاية في الأهمية، ومسؤولية لا ينبغي أن نتنصل منها بأي شكل كان، ويجب أن تكون من أولويات المهتمين بالإصلاح التربوي على مستوى العالم العربي بأسره.

فقد أولت الشعوب المتقدمة، وحتى النامية، لغاتها اهتماما خاصا، فتقدمت كثيرا في أساليب تعليمها وتعلمها، ذلك لقناعة تلك الأمم أن التقدم العلمي والتقني لا يمكن أن يحصل باستعارة لغة أجنبية أو الاستمرار في الترجمة لكل مصطلح يظهر هنا وهناك. ولذا أوصت المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) إلى أمم الأرض قاطبة - وفقا لتقارير أعدها خبراءها - بأن تدرس كل أمة أبناءها العلم بلغتها إذا أرادت أن تظل مبدعة منتجة للعلم والعلماء.

2- اللغة العربية ووسائل الإعلام: إن الحديث عن اللغة العربية اليوم وعلاقتها بالهوية يتطلب منا الحديث عن واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام المختلفة التي تسهم بشكل مباشر في توجيه الرأي العام وتشكيله. وهذا الأمر سنناقشه في الجانبين الآتيين:

أ- سطوة العامية في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة: تنبع أهمية وسائل الإعلام المختلفة من عدة حقائق. فالיום نرى انتشارا واسعا لهذه الوسائل خصوصا المرئية منها، حيث تخلق الكثيرون عن القراءة واستعاضوا عنها بمشاهدة التلفاز. فهذه الوسائل تخاطب الشعوب العربية خطابا يوميا على مدار الساعة. ولما كانت هذه الوسائل تصل إلى هذا العدد الهائل من العرب، فإن دورها يمكن أن يكون إيجابية أو سلبية. وتأتي أهمية الإعلام المرئي في أنه يخاطب شرائح متنوعة ولفترات طويلة. فالأطفال كما الكبار يشاهدون البرامج الكثيرة والمتنوعة والتي تلبي كثيرا من احتياجاتهم، إلا أن الغالب عليها أنها تتحدث بالعامية، بعيدا عن أي رقي في مستوى المفردات، أو التراكيب، أو حتى المضامين. والمتابع لوسائل الإعلام العربية مسموعة ومرئية، ومكتوبة يرى الخلل الكبير في تعامل هذه الوسائل مع اللغة العربية. حيث يلاحظ شيوع اللهجات الدارجة على ألسنة المذيعين والمذيعات خصوصا في برامج التسلية التي تلقى إقبالا واسعا من شريحة مهمة وهي الشباب.

ب - توظيف العربية لخدمة اللغات الأجنبية في الإعلان: إن عملية الاتصال الإعلاني عملية مهمة تقوم على الاتصال بين المنتج والمستهلك بهدف ترويج السلع، ونظرا لأهمية الإعلان في إقناع المستهلك بشراء السلعة، فإن اللغة المستخدمة في الإعلان تتميز بأنها لغة إقناعية تتخذ من الصورة وسيلة لتحقيق هدف الإقناع.

وتستخدم معظم الأمم لغاتها الحية في هذه الوسيلة الإعلانية، باعتبار أن ذلك مظهر من مظاهر الاعتزاز بالذات والهوية. ونظرا لوقوع العالم العربي تحت تأثير العولمة الثقافية على وجه الخصوص فقد آثرت فئة من المنتجين والوكلاء للمنتجات الأجنبية استخدام لغة أجنبية، أو لغة هجينة، وأحيانا هبط مستوى الاهتمام بالعربية إلى استخدام العاميات في الإعلانات. وفي دراسة أجراها عيسى برهومة عن العلاقة بين اللغة و التواصل الإعلاني من خلال استخدام اللغة الأجنبية في ترويج السلع، واختار عينة الدراسة من العاصمة الأردنية عمان. وتوصل الباحث إلى نتائج تبين أن هناك نوعا من اللهات الجماهيري باتجاه كل ما هو أجنبي، لذلك يعتمد كثير من أصحاب المحلات التجارية إلى استخدام أسماء أجنبية لترويج سلعهم. وقد تبين أن من أسباب انتشار هذه الظاهرة:¹²

1- عدم معرفة المقابل بالعربية للاسم الأجنبي. 2 - قلة التمكن من اللغة العربية.

3 - الأسماء العربية أصبحت بالية وقديمة. 4- الاسم الأجنبي يظهر أن المحل راق ومشهور.

5- افتقاد العربية للأسماء اللافتة للنظر. 6- الاسم الأجنبي يشعر الشخص بالاعتزاز والتفاخر.

3 - قلة النتاج العلمي باللغة العربية: إن المستعرض للتاريخ العربي والإسلامي يقف مفتخرا بهذا التاريخ العلمي الثري الذي أدهش العالم طوال تسعة قرون من العطاء والإنتاج في شتى ميادين المعرفة. وهذا الشراء العلمي والمعرفي كان ثمرة من ثمار الانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى أخذ وعطاء. بيد أن النتاج العلمي والمعرفي العربي اليوم يثير في النفس العربية الكثير من الأسى والحزن على هذا المآل. ولعل المتابع لتلك الحركة الفكرية والثقافية والعلمية العربية يدرك بجلاء أن هذه الحالة ارتبطت ارتباطا عضويا بكون اللغة العربية هي لغة ذلك النتاج، فلم يكن العرب يخشون من استخدام لغتهم في البحث العلمي والإنتاج المعرفي.

أما اليوم فالناظر يرى عجبا من ضعف الإنتاج العلمي في اللغة العربية مقارنة بما تنتجه أمم أقل عددا وخبرة وتراثا، حيث تستمد اللغة مكانتها من أهميتها الثقافية في ضوء عدد الكتب من جانب، وحركة الترجمة وعدد البحوث العلمية من جانب آخر، فقد كشف تقرير لمنظمة التربية والثقافة والعلوم (الألكسو) التابعة للجامعة الدول العربية ومقرها تونس، أن اللغة العربية تمثل (4%) من مجموع اللغات الحاضرة على الشبكة العنكبوتية مقابل (47%) للإنجليزية، و(9%) للصينية و(8%) لليابانية، و(6%) للألمانية، و(4%) للإسبانية والفرنسية. وأشار التقرير إلى أن اللغة العربية تحت المرتبة الـ (27) من حيث عدد الكتب المترجمة، وأن (6881) كتابا فقط ترجم إلى العربية منذ عام (1970) وهو رقم يعادل الكتب المترجمة إلى اللغة (الليتوانية) في الفترة ذاتها التي لا يتجاوز عدد الناطقين بها أربعة ملايين. ولعل من أسباب قلة ذلك الإنتاج والعجز في الإبداع

باللغة العربية هو الاعتماد على اللغات الأجنبية في الحصول على المعلومات والأبحاث العلمية المنشورة في الدوريات والمجلات العلمية. بالإضافة إلى أن مؤسسات التعليم العالي في الجامعات العربية والتي تدرس العلوم العامة والإنسانية والاجتماعية باللغة العربية تفترض أن يكون النشر والبحث باللغات الأجنبية. فضلا عن انعدام الوعي وعدم الثقة في قدرات الباحثين العرب بالكتابة باللغة العربية، نظرا لكون الكثيرين منهم قد تخرجوا في جامعات أجنبية. وهذا يطرح سؤالاً مهماً يتعلق بقدرة اللغة العربية على مواكبة التطور العلمي والتقني في العالم، فهل هي قادرة على استيعاب ما يستجد من أفكار ومصطلحات وغيرها باللغات الأخرى؟

4 - دعوات تيسير اللغة العربية: لقد أثرت - في أوائل القرن المنصرم - فكرة مسمومة مفادها صعوبة العربية الفصيحة لا على متعلميها من أبناء الجلد الأخرى - غير الناطقين بها - فقط، وإنما على أبنائها الذين ينتمون إليها كذلك وكانت هذه الفكرة باعثة لظهور الدعوة إلى العامية (اللهجات المحلية)، في كل قطر، ومن أوائل الذين بثوا هذه السموم والالتزامات بعض المستشرقون²¹، حيث اعتقدوا أن إهمال الإعراب ييسر تعليم العربية على الأجانب، ويكون في الوقت نفسه تجديدا يليق بمؤسسة علمية كالمجتمع. وإن في مراعاة قواعد النحو من إلحاق علامات الإعراب بالجملة التي تتألف منها أحاديثنا ومحاوراتنا تفريطا في الوقت وتضييعا له، وفي عدم مراعاته توفيراً للوقت وحرصاً عليه. وقد تبني بعض الدارسين المحدثين من أبناء العربية مثل هذه الآراء، وأخذوا يثبونها في كل صوب، ومن هذه الآراء رأي لإبراهيم أنيس في كتابه (من أسرار اللغة)، حيث يرى أنه لا أثر للحركات الإعرابية في المعنى، بل ويذهب أكثر من ذلك حين يسمي (الإعراب) قصة حاكها النحاة في أوائل القرن الأول الهجري فيقول: "وما أروعها من قصة، لقد استمدت خيوطها من خواطر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية، ثم حيكت، وتم نسجها حياكة محكمة في أوائل القرن الهجري الأول أو أوائل القرن الثاني على يد قوم من صنّاع الكلام نشأوا وعاشوا معظم حياتهم في البيئة العراقية..... حتى أصبح الإعراب حصنا منيعا امتنع حتى على الكتاب والخطباء والشعراء من فصحاء العرب وشق اقتحامه إلا على قوم سمو فيما بعد النحاة". وهذا الاتهام الخطير من إبراهيم أنيس ينفي من خلاله جهود النحاة في هذه الباب؛ فقواعد الإعراب بهذه الطريقة المتقنة لا يمكن أن تكون مبتدعة بهذه الصورة التي ذهب إليها إبراهيم أنيس، ولا يمكن أن تكون قد وضعت في فترة زمنية معينة، فهي جزء من اللغة نمت وتطورت ومرّت بمراحل متعددة عبر حياة اللغة إلى أن وصلت إلى مرحلة النضوج، وخير ما يمثلها الشعر الجاهلي، وفوق ذلك يمكن أن نتبين ظاهرة الإعراب من الحكم والأمثال الجاهلية وغير الجاهلية لأن في الحكم والأمثال ميزة فوق المحافظة على الأصل، وهي المحافظة على كيفية النطق بها".¹³

قائمة المراجع:

- دور اللغة في تنمية السمات الشخصية للفرد، المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، المحور الثاني (الاستثمار في اللغة العربية على مستوى الفرد)، سالم المهدي الكوني، أستاذ علم النفس المساعد، كلية التربية - العجيلات، جامعة الزاوية - ليبيا.
- حسام البهنساوي، لغة الطفل في دور مناهج البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- مصطفى الشراوي، علم الصحة النفسية، دار النهضة العربية، بيروت.

- باسم يونس البديرات، حسين محمد البطاينة، اللغة وأثرها في تجذير الهوية العربية والإسلامية في عصر العولمة.
- السيد محمود، اللغة والهوية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ج3.
- الموقع الإلكتروني مقال: <https://mqaall.com/special-features-arabic-language>، بتاريخ 2022/05/29، على الساعة: 00:08.
- الموقع الإلكتروني الألوكة:
- سمات-اللغة-العربية-السعة-والمرونة / https://www.alukah.net/literature_language، بتاريخ: 2022/05/29، على الساعة: 00:16.
- عوض بن حمد القوزي، تبسيط استخدام اللغة العربية، جمعية حماية اللغة العربية، الشارقة، ط1، 1442.
- عبد العزيز الدوري، الهوية الثقافية العربية والتحديات، مجلة المستقبل العربي، م99/10.
- الجرجاني الشريف، التعريفات، تحقيق: غوستافوس فلوجل، مكتبة لبنان، 1987.
- برهومة عيسى، اللغة والتواصل الإعلاني مثل من إنتشار الأسماء الأجنبية في اللافتات التجارية في الأردن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 67، 2005.
- محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نضضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999.
- هوامش البحث:

- 1- دور اللغة في تنمية السمات الشخصية للفرد، المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، المحور الثاني (الاستثمار في اللغة العربية على مستوى الفرد)، سالم المهدي الكوني، أستاذ علم النفس المساعد، كلية التربية- العجيلات، جامعة الزاوية- ليبيا، ص: 2.
- 2- نفسه، ص: 2.
- 3- حسام البهنساوي، لغة الطفل في دور مناهج البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص: 19.
- 4- مصطفى الشراقوي، علم الصحة النفسية، دار النهضة العربية، بيروت، ص: 72.
- 5- باسم يونس البديرات، حسين محمد البطاينة، اللغة وأثرها في تجذير الهوية العربية والإسلامية في عصر العولمة، ص: 31، 32.
- 6- المرجع السابق، ص: 32.
- 7- ينظر: الجرجاني الشريف، التعريفات، تحقيق: غوستافوس فلوجل، مكتبة لبنان، 1987، ص: 314، و باسم يونس البديرات، حسين محمد البطاينة، اللغة وأثرها في تجذير الهوية العربية والإسلامية في عصر العولمة، ص: 33.
- 8- باسم يونس البديرات، حسين محمد البطاينة، اللغة وأثرها في تجذير الهوية العربية والإسلامية في عصر العولمة، ص: 33، 34، 35، 37.
- 9- السيد محمود، اللغة والهوية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ج3، ص642، وينظر: عبد العزيز الدوري، الهوية الثقافية العربية والتحديات، مجلة المستقبل العربي، م99/10 ص6، وينظر: محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نضضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999، ص: 6.
- 10- الموقع الإلكتروني مقال: <https://mqaall.com/special-features-arabic-language>، بتاريخ 2022/05/29، على الساعة: 00:08.

¹¹ - الموقع الإلكتروني الألوكة:

سمات-اللغة-العربية-السعة-والمرونة/ https://www.alukah.net/literature_language، بتاريخ: 2022/05/29، على الساعة: 00:16.

¹² - برهومة عيسى، اللغة والتواصل الإعلاني مثل من انتشار الأسماء الأجنبية في اللافتات التجارية في الأردن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 67، 2005، ص: 17.

¹³ - باسم يونس البديرات، حسين محمد البطاينة، اللغة وأثرها في تجذير الهوية العربية والإسلامية في عصر العولمة، ص: 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، وينظر: عوض بن حمد القوزي، تبسيط استخدام اللغة العربية، جمعية حماية اللغة العربية، الشارقة، ط1، 1442، ص33.